

التداولية والحجاج

جدلية التصور وبناء المفهوم

الدكتور: بوعرعارة محمد

المركز الجامعي تيسمسيلت - الجزائر

جرى في عرف الباحثين إدراج المباحث الحجاجية في إطار التصورات العامة للتداولية، وقد أشار بعضهم إلى ذلك إذ قال: " ويوجد تيار ناتج " عن التقاء تيارين نابعين من أصلين مختلفين ومتداخلين في الآن نفسه، مشيرا إلى التيار الفلسفي المنطقي، والتيار اللساني التواصلي المهتم بالتخاطب وذاتية المتكلم وخصائص الخطاب. وإذ الأمر كذلك أحاول في هذا الإطار البحث عن عناصر الالتقاء بين هذين العلمين ولاشك أنّ أهم نقطة التقاء تتمثل في الخطاب الحجاجي، ولما كانت التداولية علم استعمال اللغة في المقام، والمقام أحد مقومات البلاغة القديمة جرى البحث في اتجاه استقصاء الأصول المعرفية للخطاب الحجاجي مسائلا عن الأبعاد والتصوّرات والمفاهيم.

توطئة:

يتحدث صاحب كتاب «التداولية والحجاج» الباحث صابر الحباشة عن إشكالية الاصطلاح والمفهوم فيقول: " لا يبرأ الجهاز الاصطلاحي المعتمد في الدراسات العربية من داء الخلط وعدم الدقة والاشتراك، فالمصطلحات المعتمدة في هذا السياق تخضع لاجتهادات الباحثين وحدود اطلاعهم ومحاولاتهم ترجمة ما اطلعوا عليه في اللغة أو اللغات الأجنبية التي تيسر لبعضهم الإلمام بها، وهنا نجد البرهان والاستدلال والحجاج والجدال والاستقراء والقياس، وغيرها من المصطلحات الأساسية في النظريات الحجاجية غير مستقرة ولم يغلب عليها في السياق العربي العام توجه واضح يعفي الباحث الجديد من تلمس الطريق الشائكة

التداولية والحجاج، جدلية التصور وبناء المفهوم

نحو مزيد تدقيق الجهاز الاصطلاحي"⁽¹⁾، وقد صدق في هذه الرؤية ولا يتوقف الأمر على الحجاج فقط بل يشمل مصطلحات عديدة في علم واحد فضلا عن العلوم المختلفة. ثم يواصل الحديث بقوله: "فضلا عن الاختلاف الجزئي في الجذر «ح ج ج» فمنهم من يستعمل الحجاج ومنهم من يفضل التحاجّ ومنهم من يفك الإدغام فيقول التحاجج ومنهم من يستعمل المحاجّة ومنهم من يفكها فيقول المحاججة ... وغير ذلك من التصريفات الاشتقاقية"⁽²⁾.

والخطاب الحجاجي هو بناء لغوي يتم تدعيمه بأدوات توظف لغرض الإقناع والتأثير، مما يجعله أقرب إلى النص الخطابي إن لم يكن النص الخطابي ذاته النص الحجاجي؛ مما يجعلنا نبحت في عناصر الخطبة التي تركز على أساليب الإقناع.

الخطابة:

الخطابة في اللغة مصدر كالخطاب توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، وفي اصطلاح الحكماء مجموع قوانين يقتدر بها على الإقناع الممكن⁽³⁾، ويترتب عليه توجيه عناية المتلقي إلى الموضوع المراد الحديث عنه، وما يتعلق في حقيقة الأمر بالحجاج نوع الخطابة البرهاني، أو بمعنى أصوب الذي يقوم على الحجة والمنطق، والغاية منه حمل المتلقي على التسليم بقضية ما مبنية أساسا على مقدمة ثبت بالعقل حجيتها أو صحتها، فهي تمثل في منطوق العلوم؛ البديهة التي لا اختلاف في التوافق عليها عند العقلاء من المتكلمين بنفس اللغة، وهي في عرف المنطقة قياس مؤلف من مقدمات مقبولة.

ويشترك مصطلح الخطابة مع مصطلحات عديدة قد يتماهى معها في المدلول وقد يفترق عنها ولكنها تبقى في دائرة الحقل الدلالي المشترك الذي يجمعها، من ذلك المناظرة، والمجادلة... وتشترك الخطابة مع الحجاج في نوعها الأول حين تقوم على الإقناع البرهاني، بينما تفترق عنه في نوعها الثاني حين تدل بالمطلق على مفهومها العام الإقناع الخطابي؛ إذ ليس

كل من يتم الحديث إليه أو معه يحتاج إلى برهان وقد نقل ابن رشد عن أرسطو أن "ليس كل صنف من الناس ينبغي أن يستعمل معه البرهان في الأشياء النظرية التي يراد منهم اعتقادها"⁽⁴⁾، لذلك كان الخطاب اليومي الذي يتواصل به الناس لأجل مصلحة ما لا يحتاج فيه إلى إقناع ولا يعد من قبيل الخطبة أو الحجج.

وقد جعل أرسطو المكونات النصية للخطاب في حديثه عن الإقناع في فن الخطابة ترتد إلى ثلاثة عناصر رئيسة يلحق بها عنصران ثانويان، وقد جعل تلك المراحل خطاطة بنى عليها كتاب الخطابة* ... فالمقالات الست من الثانية إلى السابعة من كتاب المواضع تخص مرحلة استكشاف الأدلة، والمقالة الثامنة تناول فيها ما يخص ترتيب أجزاء القول والإلقاء والأسلوب جميعاً⁽⁵⁾، وهذه العناصر التي تحدث عنها أرسطو في كتابه المذكور أشبه بالتقنيات الخطابية التي نطلقها اليوم في مجال الخطاب الحجاجي أو البلاغة الجديدة التي تقوم على الإقناع، وحجج الاستدلال.

ويتوقف "نجاح البلاغة (الخطبة) في عملية الاتصال على اختيار المحتوى المناسب للرسالة موضوع الاتصال، وكذلك على اختيار القناة والوسيلة المناسبة لنقلها، والواقع أن قيمة أية رسالة تتوقف على مدى فعالية هذه الرسالة وتأثيرها، ولا يمكن التأكد من ذلك إلا إذا عرفنا أثر الرسالة على الشخص المستقبل لها، وقد ركز عالم السياسة "هارولد لازويل" هذه العملية في الإجابة على الأسئلة التالية: «من - يقول ماذا - بأي وسيلة - لمن - وبأي تأثير»⁽⁶⁾.

البلاغة الجديدة:

"تعرف البلاغة الجديدة بأنها نظرية الحجج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية، وتسعى إلى إثارة النفوس وكسب العقول عبر عرض الحجج"⁽⁷⁾ فهي مبنية مبدئياً على فكرة

التداولية والعلاج، جدلية التصور وبداء المفهوم

تعقيل اللغة الإخبارية، ومن ثم استخدام آليات وتقنيات العقل، في بلورة الخطاب من المرسل إلى المتلقي.

والتقنيات الخطابية يقصد بها الوسائل التي تسهم في توصيل الخطاب في إطار لغة فنية مزوجة باستدلالات عقلية مستنبطة بواسطة العقل ذاته، مبنية على الحجة والبرهان.

إن المفارقة تكمن بين البلاغة بمفهومها القديم ومفهومها الجديد في عملية التوصيل بحيث لا يستند البلاغي بالضرورة إلى مفاهيم البديع أو البيان وإنما يشترط وصول الرسالة الخطابية سليمة لغويا بعرض الحجج، ولا يخفى على الباحث أن عرضها قد يستند إلى مبدأ الجدل والجدال أو ما يسمى بطريقة عرض الحوار والنقاش، ومن ثم خطاب المساءلة باستدعاء الغائب (الذي يتصوره المخاطب من حديثه والهدف الذي يبتغي الوصول إليه) في صورة الحاضر (عبر أساليب لغوية فنية)؛ أي خطاب المضمّر "ففي البلاغة الجديدة تصبح طبيعة الرسالة التي يهدف المرسل توصيلها إلى المستقبل هي محور الدراسة البلاغية، ولذلك تعنى هذه الدراسة بطبيعة الرسالة من حيث الأغراض والوظائف والاستعمالات المختلفة للغة"⁽⁶⁾.

وقد كان توصيل الرسالة إلى المتلقي مقصد الخطاب كلّه وفحواه، فهي تضيفي بظلالها على الإنسان كلّه، وهذا التوصيل أساسه التأثير في المتلقي؛ أي: "تأدية المعنى المعتمل في النفس إلى المتلقي وتوصيله، [و] هو المحور الذي بنت عليه علوم البلاغة أبحاثها وفكرها ونظرياتها ومصطلحاتها، وأن هذا المعنى المتضمن في الألفاظ هو روح عملية التوصيل، التي ركزت عليها البلاغة، من خلال مطابقة المقال لمقتضى الحال. فتركيز البلاغة على مقتضى الحال يقصد منه مراعاة المنشئ الدقة فيما ينقل من معانٍ مخترنة في نفسه إلى المتلقي بطريق الجمل والعبارات الموصلة بينهما، مراعيًا المواقف المحيطة بالمتلقي، والمقامات التي تكتنف الموقف الذي تم فيه التوصيل، فإراعي الظروف المحيطة والعلاقات الاجتماعية وأحداث الماضي

والحاضر، واستشراف المستقبل، كما يراعي العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات، وطبقة المخاطب ومركزه الاجتماعي، والرسمي، وثقافته ومواقفه، فيخضع هذه المعطيات والمؤثرات جميعها للمعنى، ليقتنص فهم المتلقي، والتأثير فيه⁽⁹⁾.

والاستعمال المختلف للغة لا شك يوحى بضرورة التعرض للوظائف اللغوية في الخطاب اللساني، وقد وصل بعضهم بوظائف اللغة إلى ست وظائف؛ إلا أن الغالب الأعم لوظيفة اللغة ينحصر في وظيفتين رئيسيتين، وظيفته التبليغ، ووظيفته التعبير، غير أن البلاغيين يرون في وظائف اللغة الوظيفة الإعلامية، والوظيفة التعبيرية، والوظيفة الإقناعية، ولم يتحدثوا صراحة عن هذه الوظيفة إلا أننا نجدها ضمنا في حديثهم عن البلاغة بوجه عام، وهي تستهدف جمهور المستقبلين بفلسفة ما، أو رأي محدد أو وجهة نظر ما، وتستند إلى الجدل والعلة ووسائل المنطق والحجة والبرهان والاستدلال.

والجدل في إحدى معانيه الاصطلاحية استجماع القوى العقلية بإبراز المؤيدات وإظهار الشواهد لبيان وجهة ما التزم به المجادل من رأي ومذهب⁽¹⁰⁾.

إن البلاغة الكلاسيكية تصنف الصناعة الخطبية وفق خمسة أقسام تستوعب كل أشكال الخطاب التواصلية الذي يتبنى الميزة الفنية في عملية التوصيل، وهذه الأقسام الخمسة تتوزع وفقا لمقتضيات الهدف من الرسالة، نجدها متبلورة ضمن الترتيب التالي كما يقترحه الباحث "صابر الحباشة":

- قسم البصر بالحجة (L'invention) ويتعلق باستكشاف الأفكار والحجج انطلاقا من وجهات نظر مختلفة ممكنة.

- قسم الترتيب (La disposition) ويتحقق عبر اختيار تنظيم للحجج يوسم بكونه تنظيما منطقيا - استراتيجيا، ونعني بالتنظيم عملية التخطيط.

التداولية والمخاطبة، جدلية التصور وبداء المفهوم

- قسم العبارة (Locution) وتمثل في اختيار الأسلوب وإيقاع الخطاب، ويتضمن استخدام الصور البلاغية، مثل الاستعارة والمبالغة والتلطيف...
- قسم الاستظهار (La mémoire) وهو يخص عملية البحث عن وجهات النظر، وذلك بواسطة التصنيف الذي يهدف من خلاله المتكلم إلى تنظيم المقولات التجريبية المتضمنة سلفاً في الخطاب.
- قسم العمل (L'action) وهو اختيار التنغيمات (Intonation) والهيئات والحركات⁽¹¹⁾.

التداولية والمخاطبة:

المنظور المنطقي: ينبنى على نظرتين أساسيتين:

أ- اللسانيات النفسية المعرفية:

وهذا الضرب من الأبحاث طوره "جورج فينيو" و"جون بليز غرايز" و"فريدريك ناف"، وقد تحدّث "غرايز" عن التضمين وعني به إجراء حساب المفهوم الذي يضعه المخاطب انطلاقاً من تلفظ المتكلم، ومن حكم المحادثة التي تماثل قواعد المحادثة التي يراعيها مجموع المتكلمين في إطار ثقافي معين⁽¹²⁾.

ومجموع المتكلمين ليس سوى مفهوم الجماعة اللغوية، ولذلك عقد اللسانيون في كتبهم مباحث تتعلق بالعلاقة بين الثقافة كمفهوم للجماعة اللغوية، وسير العمليات اللغوية التي تتم في إطار مرجع تحكمه تلك الجماعة، والتلفظ* حقيقة ليس سوى عملية الكلام؛ لذلك كانت العلاقة بين اللغة (= اللسان) والكلام مبررة في دراسات اللسانيين.

ب- علم الدلالة المنطقي:

ينطلق من أفكار "روبار مارتان" الذي يجرب تكيفاً للحوارات اللغوية انطلاقاً من إعادة تشكيل مفهوم الحقيقة في العلاقة بين الجمل تحديداً (...). إن صناعة المعنى وتأويله في اللغات الطبيعية يقومان على علم دلالة ضبابي أو علم دلالة (غير صارم في صحته) حيث على

اللساني أن يحدد قواعده الوظيفية⁽¹³⁾؛ ففي جملة: «رأيت خالدا واقفا» يحمل التركيب غموضاً دلالياً لكون الجلوس غير محدد، فهو قد يقع من المتكلم المتلفظ بالجملة أو المتحدث عنه.

المنظور اللغوي:

يتبلور في أبحاث "أوزفالد ديكر" الحالية عن الحجاج في اللغة، ويعكس تماماً النظرة المنطقية، حيث يرى أن التلطف يقع في إطار اللغة باعتبارها وصفاً أساسياً لكل دلالة، ويمثل الحجاج في نظره أساس المعنى نفسه، وأساس تأويله في الخطاب، فهو يخرج به عن مفهومه اللساني؛ فالمتكلم (المصدر) ومن يتجه إليه هو الهدف ففي حالة الملفوظ⁽¹⁴⁾ «الطقس حارّ فلنذهب للسباحة» قد لا تتعلل بالحرارة لنطلب الذهاب إلى السباحة لو لم نفترض أنّ الشخص الذي نكلمه يقول هو الآخر بقاعدة تسمح بالمرور من أحدهما إلى الآخر، وفي هذه الحالة فكرة أن الحرارة تجعل السباحة ممتعة، وإلا فإنّ الحجة تسقط⁽¹⁴⁾.

وهذه القاعدة التي تسمح بالمرور من المتكلم إلى المتلقي تشترط أن يتنفي لدى المتلقي والمتكلم على السواء الجهل بالسنن، فقد أثر عن خالد ابن الوليد أنه أمر بتدفئة الأسرى، فقال: «أدفئوهم» وكانت تعني في لغة القوم القتل مع أنه لم يقصد قتلهم، أو بسبب الالتباس الذي يحصل نتيجة التأويل بسبب عدم وضوح الرسالة الخطابية ذاتها عند المتلقي للخطاب، وذلك كثير في تراثنا اللغوي.

المنظور المحادثي:

إذا كانت البنية المنطقية للتفكير هي منشأ اللغة؛ فإنّ الخطاب والتبادلات اللغوية هي مصيبتها، ذلك هو المنظور المحادثي، حيث نستعمل الروابط، أو ما يمكن أن نسميه بالمحددات الخطابية من نحو: إذن، في النهاية، في العمق، ومع ذلك، إلا أنه، يمكن أن، لضرورة، بياناً، بمقتضى، ... ومن ثم يترتب علينا دراسة هذه المحددات، لنصل إلى الدراسة البنوية

التداولية والحجاج، جدلية التصور وبداء المفهوم

للوحدات المحادثية التي تمثل الحديث أو التدخل أو التقرير، وذلك بالنظر إلى غاياتها ومقاصدها الحجاجية، وبذلك تتجاوز المفوظ.

ومن نتائج وتطبيقات المنظور المحادثي مفهوم الضمني الذي وضع موضع البداهة، وهو في الوقت ذاته يشمل مفاهيم "غير الصريح" و"الاستلزام" و"مبدأ المعاونة" وهي مفاهيم تبلورت في أثناء الخطاب المحادثي، بملاحظة سلامة الرسالة اللغوية؛ و" مفهوم الضمني قد شدّ انتباه التداوليين شدّا؛ "فأوستين" يشير إليه أكثر من مرة مع أن كتابه: (أن نقول. هو أن نفعل. Ouand dire, c'est faire) لا يقترح له أي صياغة مفهومية ولا صياغة نظرية"⁽¹⁵⁾.

وقد قسم "أوستين" ظاهرة الضمني إلى ما يؤدي إليه، وما يفهم منه، وما يقتضيه، ويدخل في دائرة الأول علاقات الاستلزام والتناقض، بينما يحوي الثاني ما يسمى باستلزام الاعتقاد، واستلزام المصدقية، وأخيرا استلزام الوجود ضمن ما يقتضيه"⁽¹⁶⁾، ووفق ذلك تأخذ الرسالة قيمتها التداولية لدى المتلقي الذي يجدد الاستلزام الحوارية للخطاب.

الحجاج بالمعنى العادي:

يراد به طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع، مع عدم إهمال طبيعة السامع باستعمال الناحية النفسية في المتلقي، وهو يلتقي إن لم يكن يراد به القسم الأول الذي تحدثنا عنه في نوع الخطابة، التي يمكن أن نطلق عليها اسم الخطابة البرهانية. ونشير إلى أن المعاجم حين حاولت ترجمة مصطلح البلاغة عنت به في إحدى معانيه الخطابة، والتي عرفت ضمنا وصراحة لدى الباحثين بأنها الكلام الهادف إلى الإقناع، لهذا " فإن الذين ترجموا المصطلح بالخطابة إنما نظروا إلى الجانب الخاص بإيجاد الحجج"⁽¹⁷⁾، وهذا الذي ذكره "التهانوي" في كشف اصطلاحات الفنون حين تعرض لمفهوم الخطابي بقوله: "الإقناعي يطلق على الخطابي، وهو الدليل المركب من المشهورات والمظنونات"⁽¹⁸⁾.

الحجاج بالمعنى الفني:

يدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدلالية شريطة أن تخضع العلاقات الحجاجية للقياس؛ أي أن تكون واصلة بين سلاله يسميها الباحث "صابر الحباشة"، ويضرب لذلك مثالا: «العشاء تقريبا جاهز» هذه الجملة تعني أن العشاء غير جاهز عند التلفظ بها، فإذا سمينا جاهزية العشاء (ق) وسمينا عدم جاهزيته (لا-ق)؛ فإن الجملة المذكورة تدل على (لا-ق)، ولكن للنظر في المثال التالي: «تقريبا أنهيت قراءة الكتاب»؛ فسامع هذه الجملة لا يهتم بأن «تقريبا» تؤدي معنى (لا-ق) أي: عدم إنهاء قراءة الكتاب، بل يهتم بأن مسألة الإنهاء في حكم المحسومة، وإن لم تتحول إلى واقع (...) فالعرف الجاري في المحادثات يركز على تفويت في القيمة المنطقية للقول الصالح قيمة تداولية تواصلية⁽¹⁹⁾.

إن استعمال لفظ واحد يحيل إلى مفهوم معين داخل السياق، وبحسب العرف الاجتماعي يتم تفسيره ضمن آليات منطقية محكومة بمعايير العقل، وعليه فإن الاستعمال التداولي للألفاظ وإن كان محكوما بقواعد تركيبية وخاضعا لمعيار الإعراب يبقى في بعض المواقف مجردا ما لم يتم ربطه بقاعدته المؤسسة، ووفقا لذلك يمكن أن نشير إلى رابط يربط هذه العناصر الثلاثة نسميه استلزام المعنى أو اقتضاء المعنى واستلزامه⁽²⁰⁾؛ ففي جملة «الطلبة اليوم هادئون» حين ينطق بها الأستاذ أمام طلبته تطرح إشكالية المفهوم الدلالي للجملة رغم وجود السياق اللغوي، ويصار إلى تفسيرها إلى ما يسمى بالقصدية في الخطاب، قصدية المتكلم الذي يمثل مقابلة بين معنى الملفوظ وقيمة التلفظ أي مقابلة بين علم الدلالة والتداولية⁽²¹⁾؛ غير أن التداولية تفترض وجود متضمنات القول^{***} Les implicites في الخطاب.

التداولية والمجاج، جدلية التصور وبداء المفهوم

وقد تحدث الباحثون اللسانيون على القصدية، وأدرجت ضمن مباحث عديدة داخل علوم مختلفة كالبلاغة، وعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم الدلالة، وعلم الاتصال، وعلم النص، ولعل منها ما يطلقه علماء النحو - ونحن نتحدث عن التركيب - مراعاة قصد المتكلم في التوجيه، كما يذهب إليه ابن جني في كتابه الخصائص: " وذلك قولك: عندي عشرون، واشترت ثلاثين، وملكت خمسة وأربعين، فإن لم يعلم المراد لزم التمييز إذا قصد المتكلم الإبانة، فإن لم يرد ذلك، وأراد الإلغاز وحذف جانب البيان لم يوجب على نفسه ذكر التمييز، وهذا إنما يصلحه ويفسده غرض المتكلم، وعليه مدار الكلام، فاعرفه"⁽²²⁾.

ونجد أنها كثيرة في النحو العربي لا يرجع الحسم إليها إلا من خلال قصد المتكلم، وإرادته معنى من معاني خطابه، كالفارق بين لا النافية للجنس أو العاملة عمل ليس، وأمس مبنية أو معربة، والنكرة المقصودة وغير المقصودة، والنعت المقطوع، ... وقد نص السيوطي في الأشباه والنظائر على أن أكثر مسائل النحو مبنية على القصد⁽²³⁾.

التداولية: هي علم للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال⁽²⁴⁾، وحين النظر إلى هذا التعريف نجد كلمة الاستعمال ماثلة أمامنا، والاستعمال يرتبط بعوامل عديدة تسهم في إخراج الملفوظ وإعطائه معنى عند المتكلم والمتلقي معاً، مما يؤول تفسيره إلى نظرية المحادثة التي انبثقت من فلسفة بول غرايس.

وأصل التداولية كما يرى الباحثون المهتمون بدراسة الخطاب واللسانيات " يرجع إلى اتجاهين مختلفين: اتجاه ينطلق في دراسة التداولية من كونها نظرية في التعامل الاجتماعي، تهتم بالجانب الاستعمالي، أي استعمال اللغة بزعامة "أوستن"، واتجاه فلسفي منطقي تعود جذوره إلى "بيرس" الذي أطلق عليها اسم "البراغماتية عام 1905"، و"وليم جيمس" الذي سماها بالذرائعية عام 1978"⁽²⁵⁾.

وقد تمخض عن هذه المفاهيم وتفرع عنها دراسات حديثة توجهت إلى العناية بالمخاطب، والاهتمام بالفعل الكلامي⁽²⁶⁾، واستخراج الآليات المساعدة على تحسين توصيل الرسالة إلى المتلقي، منها ما يسمى بالمحادثة التي تستعين بالقول المضمّر⁽²⁷⁾. والمحادثة تتطلب عناصر تقتضي دخولها في الخطاب الجامع بينها التحليل والتفسير وحتى الجانب النفسي يتميز بدوره في تحديد الدلالات، وهي تنبني على نظرية الأفعال الكلامية⁽²⁸⁾ التي انبثقت من فلسفة اللغة العادية عند لودفيغ فيتغنشتاين، وطوّره فيما بعد فلاسفة مدرسة أكسفورد وعلى رأسهم ج.ل. أوستين في كتابه: «عندما يكون القول هو الفعل» وتلميذه (تلميذ لودفيغ) ج. سيرل في دراسته: «القوى المتضمنة في القول». وقد لخص لنا الباحث مسعود صحراوي مهام التداولية في:

1. دراسة استعمال اللغة ضمن الطبقات المقامية المختلفة باعتبارها كلاماً محدداً صادراً من «متكلم محدّد» وموجهاً إلى «مخاطب محدّد» بـ «لفظ محدّد» في «مقام تواصل محدّد» لتحقيق «غرض تواصل محدّد»، وهنا نلمح عنصر الإقناع في الخطاب ومن ثم قيام الحجج في توصيل وإفهام المخاطب أيّاً كانت هذه الحجج⁽²⁹⁾.
2. شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.
3. بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.
4. شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرف في معالجة الملفوظات.
5. ما هو نموذج التواصل الأمثل (أهو الترميز أم الاستدلال)؟.

وخلاصة القول أن "الحجاج في ارتباطه بالمتلقي يؤدي إلى حصول عمل ما أو الإعداد له، ومن ثم سيكون فحص الخطابات الحجاجية المختلفة بحثاً في صميم الأفعال الكلامية وأغراضها السياقية، وعلاقة الترابط بين الأقوال والتي تنتمي إلى البيئة اللغوية الحجاجية، وسيكون الحجاج مؤطراً بالخاصية اللسانية الشكلية، وليس بالمحتوى الخبري

التداولية والمجاج، جدلية التصور وبداء المفهوم

للقول الذي يربط القول بالمقام، ولما كان الأمر كذلك، كان تركيز التداولية ينصب على العلاقات الترابطية بين أجزاء الخطاب والأدوات اللسانية المحققة له، ومن خصائص الخطاب الحجاجي الذي يميزه عن البرهان أو الاستنتاج إمكان النقض أو الدحض؛ مما يجعل من إمكانية التسليم بالمقدمة المعطاة أمراً نسبياً بالنسبة إلى المخاطب، وتتصدر الحاجة كوظيفة لسانية قائمة الوظائف اللغوية بالرغم من عدم إشارة الدارسين الذين تناولوا موضوع وظيفة اللغة إليها "كبوهار" و"جاكسون" وغيرهما"⁽³⁰⁾.

والحجاج أو المتكلم الذي يستخدم الحاجة في كلامه، وحمل المتلقي على الاعتراف بوجهة نظره لا بد يستخدم طرقاً إقناعية يستلمها من النظام اللغوي الذي يسمح له بالتعبير عنها ضمن سياقات مختلفة تتضافر في تقديمها التداولية، وتلك الاستخدامات تشمل التأكيدات الأدائية، وهي التي عبر عنها النحو العربي بالأدوات كاستخدام أداة: إن، وقد، لقد، كان...؛ كما تشمل بعض الأساليب البلاغية التي تزيد في قوة الرسالة وحجيتها لدى المتلقي، كأسلوب القصر بالاستثناء والنفي⁽³¹⁾، بالإضافة إلى نوع آخر من أنواع الطباق تسميه البلاغة باسم المقابلة⁽³²⁾، ويدخل في المقابلة قصر النتيجة على السبب؛ أو ما يسمى في البلاغة بأسلوب التعليل، أو حسن التعليل، وهو أن يدعي شاعر علة مناسبة غير العلة الحقيقية على جهة الاستظراف لغرض توهم الحقيقة وتقريرها⁽³³⁾ ومثاله: قول أبي تمام:

لَا تُنْكِرِي عَظْلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغَنَى *** فَالْسَيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي⁽³⁴⁾

وعندما نتحدث عن المكون التداولي، أو عندما نقول إن ظاهرة ما خاضعة لعوامل تداولية؛ فإننا نقصد بذلك المكون الذي يعالج وصف معنى الملفوظات في سياقها، فنفس الملفوظ «بول ليس هنا» مثلاً يؤول حسب السياقات كملفوظ تهكمي، أو كدعوة لاحترام النظام، أو كنتيجة لمحاكاة...⁽³⁵⁾.

وإذن، التأسيس لخطاب حجاجي يتوقف على بلورة المفاهيم الاصطلاحية التي تدور في فلكها موضوعاته، وتحقيق الدقة في الاستخدام، ثم الاستفادة من العلوم اللسانية الحديثة ذات الصلة الوثيقة بالخطاب ككل، مع إعادة قراءة متأنية وفاحصة للبلاغة العربية القديمة والاستفادة منها قدر الإمكان، دون إقصاء لمفاهيمها أو المولاة عنها.

وبعدئذ، يتم استثمار تلك المعارف التي أنتجها الخطاب الحجاجي في ميادين معرفية أخرى ذات صلة به، داخليا أو خارجيا، والمقصود بالداخلي العلوم المختلفة التي يرتبط بها الخطاب بالضرورة، كعلم النحو البلاغة والعلوم اللسانية كما أشرت، وخارجيا العلوم التطبيقية في الحقول المعرفية، وبالأخص في ميدان اللسانيات التعليمية.

مراجع البحث وإحالاته:

- 1- التداولية والحجاج (مداخل ونصوص)، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، 2008، سوريا، ص/ 46.
- 2- المرجع نفسه، ص/ 46.
- 3- فن الخطابة وإعداد الخطيب، علي محفوظ، مكتبة رحاب، الجزائر، (د.ت)، (د.ط)، ص/ 13.
- 4- فن الخطابة وإعداد الخطيب، علي محفوظ، ص/ 16.
- *- هو الكتاب الذي ألفه أرسطو (384-322 ق.م)، وعرّبه بشر بن متى ولخصه ابن رشد، وأخذ عنه ابن سينا والفارابي، ونقل إلى العربية في القرن الثالث من الهجرة، وعده الفلاسفة جزءا مكتملا لعلم المنطق، لكونه تحدث عن الرسم والحد والدليل والقياس والتصديق.
- 5- نظرية الحجاج (مراحل بناء النص الحجاجي)، أيمن أبو مصطفى، 09 أكتوبر 2013 < <http://www.ruowaa.com/vb3/showthread.php?t=34633> >
- 6- البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، محمد عبد المنعم خفاجي، وعبد العزيز شرف، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص/ 90.
- 7- التداولية والحجاج (مداخل ونصوص)، صابر الحباشة، ص/ 15.

- 8 - البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، محمد عبد المنعم خفاجي، وعبد العزيز شرف، ص/ 92.91.
- 9- الفكر البلاغي عند النحويين العرب، عزام عمر الشجرراوي، دار البشير، ط1، 2002، عمان، الأردن، ص/ 104.
- 10- ينظر: الجدل في القرآن الكريم (فعاليته في بناء العقلية الإسلامية)، محمد التومي، شركة الشهاب، الجزائر، ص/ 08.
- 11- التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، تر/ صابر الحباشة، دار الحوار، ط1، 2007، سوريا، ص/ 24.
- 12- التداولية والمجاج، صابر الحباشة، ص/ 17.
- *- يفهم من التلفظ تحقيق المتكلمين للتبادل الألسني المندرج ضمن ظروف خاصة، ويشكل التلفظ وضعية الخطاب التي تحين التماظهر الألسني المتمثل في الملفوظ ... وهو الحدث بعينه، يتم بموجبه إنتاج الملفوظ. هذا الحدث من صنع المتكلم الذي يعبئ اللغة لحسابه (بنفنست 1970)، ينظر: (قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، رشيد بن مالك، دار الحكمة، 2000، ص/ 68).
- 13- المرجع السابق، صابر الحباشة، ص/ 18.
- **- يفهم من الملفوظ كل وحدة دالة مرتبطة بالسلسلة الكلامية أو النص المكتوب، ومتقدمة على كل تحليل ألسني أو منطقي، وفي مقابلته للتلفظ الدال على الحدث الكلامي. هو الحالة الناتجة بمعزل عن الأبعاد النظامية (جملة أو خطاب)، ينظر: (قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، رشيد بن مالك، دار الحكمة، 2000، ص/ 65).
- 14- التداولية والمجاج، صابر الحباشة، ص/ 22.
- 15- التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، تر/ صابر الحباشة، دار الحوار، ط1، 2007، سوريا، ص/ 145.

- 16- المرجع نفسه، فليب بلاشيه، ص / 145.146
- 17- اللغة والخطاب، عمر أوكان، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2011، مصر، ص / 164.
- 18- كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت)، ج1، ص / 305.
- 19- ينظر: التداولية والحجاج، صابر الحباشة، ص / 19.
- 20- المرجع نفسه، ص / 23.
- 21- المرجع نفسه، ص / 26.
- ***- يراد بها الافتراض المسبق Pre-supposition
- 22- الخصائص، ابن جني، نح / محمد علي النجار، عالم الكتب، ط1، 2006، بيروت، لبنان، ص / 556.
- 23- ينظر: الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ج / 8، ص / 50.49
- 24- التداولية عند علماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص / 16.
- 25- التداولية وتحليل الخطاب الأدبي مقارنة نظرية "مقال" راضية خفيف بوبكري، مجلة الموقف الأدبي، 2004، ع 399 السنة الرابعة والثلاثون، تموز، ص / 25.
- 26- الفعل الكلامي كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ويعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية Actes locutoires لتحقيق أغراض إنجازية Actes illocutoires (كالطلب والأمر، والوعد والوعيد...) وغايات تأثيرية Actes perlocutoires تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول).
- 27- سئل أحد زملائي في محادثة جرت له حين تقدمه لمسابقة توظيف كالأتي: السائل: ما رأيك في نزار قباني، أجاب: يعجبني شعره!؛ السائل: إجابة فيها خبث!؛ أجاب: لا يخلو طبع من خبث، هنا نلاحظ: أن الجواب يخرق بدهاءة قانون الخطاب، غير أن السائل استنبط ضمنا الإجابة.

- 28- ينظر: المرجع السابق، مسعود صحراوي، ص/ 24.
- 29- يراد بها مجموعة من الأنماط بواسطة الاستنباط، وقد يطلق عليها كل أشكال الاستدلال الجماهيري. ينظر: (قراءة جديدة للبلاغة القديمة، رولان بارت، تر/ عمر أوكان، رؤية للنشر، القاهرة، ط1، 2011، ص/ 96).
- 30- التداولية عند علماء العرب، مسعود صحراوي، ص/ 48.47.
- 31- تتعدد أساليب القصر في البلاغة العربية، وقد أوصلها السيوطي في الإتقان إلى أربعة عشر نوعاً، وأسلوب القصر بالنفي والإثبات مثل قولنا: ما شجاع إلا علي؛ إذ قصرنا الشجاعة على علي دون غيره، وهو قصر للصفة على الموصوف.
- 32- كقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة: «عليك بالرفق يا عائشة فإنه ما كان في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه».
- 33 - ينظر: علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1993، ص/ 340.
- 34 - ينظر: المرجع نفسه، ص 340.
- 35- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، تر/ محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008، بيروت، لبنان، ص/ 101.